قصص يابانية

للكاتب الانكليزي لفكاديو هيرن

معربة بقلم عبد المسيح حداد

عضو في الرابطة القلمية

اوشيدوري *

كان صياد اسمه « سونجو » قاطناً في ناحية تدعى « تامورا — تو — غو » من مقاطعة « موتسو » . فخرج يوماً للصيد ، ولم يفلح طول النهار . وبينما كان عائداً الى المنزل رأى في مكان يدعى « اكانوما » زوجين من الاوشيدوري (البط المقدس) سابحين في النهر الذي كان مزمعاً ان يجتازه . ولكن صيد هذا البط لم يكن جائزاً . الا ان سونجو كان جائعاً ، ولهذا صوّب سهمه واطلقه عَلَى البطتين . فشق السهم قلب الذكر . امـا الانثى فهربت الى الشاطىء المقابل وتوارت بين الاقصاب . فاخذ سونجو البطة الذكر الى منزله وطبخه لنفسه .

في تلك الليلة حلم الصياد حلماً مزعجاً . رأى ان امرأة جميلة الخلق دخلت غرفته ووقفت بجانب وسادته واخذت تنتحب انتحاباً بمرارة كلية

* اوشيدوري — البط المقدس . وهذه الطيور الداجنة منذ قديم الازمنة مكرسة للالهة ومحرم اقتناصها عند الامم الشرقية .

حتى شعر سونجو ان قلبه يكاد ان يتفطر لدى سماع ذلك النحيب . وقالت له الامرأة باكية .

— لماذا ... اواه ! لماذا قتلته ؟ ما كان ذنبه امامك ؟ ... لقد كنا عَلَى غاية السعادة في اكانوما ، فجئت انت وقتلته ! ... بماذا اساء اليك ؟ أو تدري أنت ماذا فعلت يداك ؟ اواه ! اتدري اية قساوة ، بل أي شر فعلت ؟... انك قتلتني انا ايضاً ، لانني لن استطيع الحياة دون زوجي !... ولقد جئت اليك لاخبرك هذا فقط ...

ثم انتحبت ثانية بصوت عالٍ ومرارة شديدة حتى ان زفيرها اخترق عظام سامعها . ثم تنهدت ناطقة بهذه الاشعار

« هي كورو ريبا »

« ساسويشي مونو وو »

« اكانوما نو »

« ماكومو نو كوري نو »

« هيتوري — في زو يوكي ! »

(* قبيل الغروب دعوته ان يرجع معي ! والان علي أن انام لوحدي تحت ظل الاقصاب في اكانوما . أوّ اه انها لتعاسة فائقة الوصف *)

وبعد ان اكملت هذه الابيات صاحت قائلة .

—أواه ! انك لا تدري — ولا تستطيع ان تدري ماذا فعلت يداك ! ولكنك عندما تذهب الى اكانوما غداً سوف ترى بعينيك — سترى أنت

قالت هذا وأعولت باكية ثم توارت . .

ولما افاق سونجو في الصباح ظل هذا الحلم مطبوعاً في مخيلته فازعجه ايما ازعاج . وتذكر هذه الكلمات — « ولكنك عندما تذهب الى اكانوما غداً سوف ترى بعينك . سترى أنت » فصمم عَلَى ان يذهب في الحال ليتحقق ما اذا كان حلمه اكثر من حلم .

ذهب الى اكانوما . وهنالك عندما اقترب من الشاطىء رأى البطة الانثى تسبح وحيدة . وفي تلك الدقيقة شاهدت البطة سونجو ، وعوضاً عن ان تجد في الهرب أخذت تسبح نحوه في الماء شاخصة ببصرها اليه بهيأة رهيبة . حينئذٍ شقت جوفها بمنقارها وانطرحت ماتت امام عيني الصياد

اما سونجو فحلق شعر رأسه بعد هذا وصار كاهناً متعبداً

كان ناغاو تشوسيي قاطناً في مدينة نيبغاتا من اعمال اتشيزن منذ زمن بعيد .

حكاية او ـ تي

. . . . . .

كان ناغاو ابن طبيب فتلقن علم الطب ليرث مهنة ابيه . وتعلق في صباه بهوى فتاة تسمى او—تي ، وهي ابنة صديق لابيه فاتفقت العائلتان عَلَى ان يكون الزواج حالما ينهي ناغاو علومه . الا ان الضعف ظهر في جسم او—تي فلم تبلغ الخامسة عشرة حتى هاجمها داء السل السفال .

واذ أوجست خوفا من موتها دعت اليها ناغاو لتودعه الوداع الاخير ·

ولما جثا عند سريرها قالت له —

يا حبيبي — ناغاو — ساما · اننا تعاهدنا عَلَى ان يكون واحدنا للاخر منذ الصبى وكان الامل ان نقترن في اواخر هذا العام · ولكني اليوم سائرة الى الموت — وان الالهة تعرف جيداً اي الامور خير لنا · فلو استطعت ان اعيش سنوات اخرى فلا شك في اني ساكون سبباً لتعاسة الاخرين وحزنهم انا لا اقدر ان اكون زوجة حسنة بهذا الجسم الفاني ولهذا لو سألت لنفسي الحياة لاجلك يكون سوءالي ملوءه الانانية · لم يبقَ عليَّ الا ان اموت واريد منك ان تعدني انك لن تحزن ··· زد عَلَى ذلك اني اريد ان اخبرك رأيي باننا سنجتمع ثانية ·

فاجاب ناغاو بلهفة وقال · حقاً اننا سنجتمع ثانية · وفي تلك الارض الطاهرة لن نذوق ألم الفراق ·

فاجابت بصوت منخفض — كلا · كلا · انا لا اعني الارض المقدسة· فاني اعتقد انه يحق لنا ان نتلاقى ثانية في هذا العالم — وان اكن ذاهبة الى القبر غداً ·

فتفرس ناغاو بوجهها مندهشاً ورآها تبتسم لعجبه · اما هي فتابعت كلامها بصوتها العذب الخيالي ·

نعم · اقول في هذا العالم — في حياتك الحاضرة يا ناغاو — ساما · اقول هذا آملة ان يكون ذلك ما تتمنى · عَلَى انني لاجل ما سيحدث ساولد

ثانية ابنة فاكبر صبية · ولهذا وجب عليك ان تتريث مدة تتراوح بين خمس عشرة سنة وست عشرة · وهو زمن طويل ···· ولكنك · يا زوجي في العهود لا تزال الان في التاسعة عشرة من عمرك

فاجاب برقة راغباً في ان يجعل لحظات موتها لطيفة خفيفة وقال ·

ان تريثي لاجلك يا حبيبتي هو فوق الواجب بل هو ما اتوخاه واننا مربوطان ببعضنا لسبعة ادهار ·

فسألته متطلعة في وجهه · او تشك ? اما هو فاجابها · حبيبتي — اشك في استطاعتي ان اعرفك في هيكل آخر او اسم ثانٍ — ما لم تنبئيني عن رمز او اشارة ·

فقالت · لا استطيع ذلك فلا احد سوى الالهة وبوذا تعرف كيف واين نلتقي· ولكني واثقة تمام الوثوق ومتأكدة تمام التأكيد انه اذا كنت غير راغب عني فاني ساكون قادرة عَلَى ان اعود اليك ··· تذكر كلماتي هذه ····

اذ ذاك انقطعت عن الكلام وأغمضت عيناها · واصبحت جثة هامدة

«·» «·» «·»

وكان ان ناغاو ظل متعلقاً باو—تي ، مخلصاً لها · وكان حزنه عليها عميقاً · فاقتنى لنفسه حقيبة حفظ بها اشياء فقيدته معلونة باسمها قبل الموت « زوكوميو » « وهذا الاسم باصطلاح البوذيين محتقر لانه يدعى به الانسان في حياته الدنيوية » وهو عكس «كيميو» او « هوميو » اللتين

يطلقان عَلَى المرء بعد الموت وهو الاسم المقدس الذي ينقش عَلَى الضريح وفي كتاب الاموات في الهيكل » ووضع ناغاو الحقيبة المذكورة في خزانته البوذية المقدسة « بوتسودان » وكان كل يوم يصلي امامها . وكثيراً ما كان يفتكر بتلك الاشياء الغريبة التي لفظتها امامه او—تي قبل ان فارقت الحياة . ولكي يريح روحها كتب عَلَى نفسه عهداً ان يقترن بها اذا تمكنت من العودة اليه بهيكل ثانٍ . وختم ذلك العهد بختمه الخاص ووضعه في « البوتسودان » بقرب حقيبة او—تي

عَلَى ان ناغاو كان وحيداً لابويه ولهذا وجب عليه ان يتزوج ورأى نفسه مضطراً ان يذعن الى رغبات عائلته والى القبول بزواج امرأة ينتخبها له ابوه وكان انه بعد ما تزوج ظل يقدم الصلوات امام تذكار او—تي . ولم يغفل قط عن تذكره اياها بشوق وحنين . ولكن خيالها اخذ يرسف تدريجاً في مخيلته حتى اصبح كحلم يصعب عليه ان يعيه . ومرّت السنون عَلَى ذلك

وأصيب ناغاو في خلال تلك السنين بفواجع عديدة . فانه فقد ابويه ثم امرأته وبعد ذلك ولده الوحيد حتى وجد نفسه وحيداً في العالم . اذ ذاك هجر منزله الموحش واخذ يضرب في الارض املاً ان ينسى احزانه

فوصل يوماً في اسفاره الى « اكاو » — وهي قرية جبلية لا تزال مشهورة ببنابيعها المعدنية وبمناظر جميلة بجوارها . وحدث ان فتاة جاءت لخدمته وهو في نزل القرية الذي اقام فيه واذ رأى وجهها لاول نظرة شعر ان قلبه وثب وثبة لم يشعر بمثلها سابقاً . وكانت الخادمة تشبه او—تي تماماً

حتى انه لشدة غرابته قرص يده ليتحقق انه ليس في عالم الاحلام . وكانت كلما مشت عنه او اقبلت اليه بنار او طعام او لترتب غرفته — تنشر في مخيلته بكل لفتة او حركة تذكاراً جميلاً للفتاة التي كان مربوطاً بها في صباه . كلمها فاجابته بصوت عذب لطيف اشجته عذوبته مذكرة اياه باشجانه الماضية .

حينئذٍ سألها بغرابة كلية قائلاً — يا اختي الكبرى انك تشبهين شخصاً عرفته منذ زمن بعيد وقد ارتعشت لدى دخولك هذه الغرفة . فاسمحي لي اذاً ان اسألك عن موطنك واسمك ؟

اما هي فاجابت في الحال بصوت الفقيدة غير المنسية قائلة —

اسمي او—تي . وانت ناغاو تشوسيي من اتشيغو المتعهد ان تكون زوجي . مت في نيغاتا منذ سبع عشرة سنة اما انت فكتبت عَلَى نفسك صكاً ان تتزوجني اذا رجعت اليك في هذا العالم بهيكل امرأة اخرى . وقد ختمت ذلك الصك بختمك الخاص ووضعته في « البوتسودان » قرب الحقيبة المعلونة باسمي . ولهذا انا قد عدت ....

ولما قالت هذه الكلمات الاخيرة وقمت مغشياً عليها .

اما ناغاو فقد تزوج بها وكان زواجهما سعيداً . ولكنها لم تتذكر بعد ذلك بماذا اجابته عَلَى سؤاله في « اكاو » ولم تعد تتذكر ايضاً شيئاً عن حياتها السابقة . فقد فقدت ذكرى حياتها السابقة بطريقة عجيبة في لحظة الاجتماع — فاصبح ذلك امراً غامضاً وظل كذلك فيما بعد .